جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : تاريخ وحضارة فينيقيا – المحاضرة الخامسة-

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثاني

المدن الفينيقية

عرف الساحل الفينيقي خمسا وعشرين مدينة، معظمها في الواقع كانت عبارة عن قرى صغيرة، أما أشهرها فهي **جبيل (بيبلوس)، صيدون (بكر كنعان)، صور، أوغاريت وبيروت**. والمدينة الفينيقية قد تكون جزيرة **كأرواد** أو تكون رأسا **كبيروت** أو تنقسم بين الجزيرة والشاطئ المقابل لها مثل **صور** و**صيدون**.

لم تكن المدن الفينيقية على وفاق دائم أو تسعى للوحدة إلا حين يحدق بها الخطر والسبب في ذلك أن المواصلات فيما بينها صعبة عن طريق البر، فالعابر من بيرت إلى جبيل عليه أن يتسلق الجبل عند نهر كلب. وكذلك الطريق بين بوتريس (البترون) وطرابلس يعترضه رأس الشقعة، فالبحر إذن هو الصلة الأنسب فكيف والأمر كذلك لا تسعى كل مدينة لأن تستقل أو تتنافس مع جارتها، شأن صيدون مع الإسكندر ضد صور مثلا.

ومن جهة أخرى فإنما نظلم المدن الفينيقية إن تجاهلنا سعيها للتقارب أحيانا، قثمة الأصل الواحد، ورابطة الدين واللغة، وأهم من ذلك كله المصلحة المشتركة التي سرعان ما تجمعها تحت راية أقوى، كل ذلك في سياسة مرنة وإن لم تكن لتوفر لها الأمان دائما.

أهم المدن الفينيقية:

1- جزيرة أرواد:

يعزو سترابون تأسيس هذه المدينة إلى مواطنين صيداويين انتقلوا إلى الشمال فبنوا المدينة، وتشير التوراة إلى أن سكان مدينة أرواد كانوا من الكنعانيين. وتعتبر مدينة أرواد من أهم المواقع التاريخية الهامة التي تقع إلى الجنوب من أوغاريت (رأس الشمرا)، وكانت هذه المدينة الواقعة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطئ تتكون من حيين منفصلين: بني أحدهما على ساحل البحر على ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب من طريق طرطوس، بينما كان الحي الثاني قد أقيم على جزيرة صخرية تبعد ميلين عن شاطئ البحر.

كان الحي الساحلي يستعمل كسوق تجارية يتبادل فيها الأروايون بضائعهم مع سكان الأرياف المجاورة، في حين أن الحي البحري كان أكثر شهرة بفضل أسواره ومرفأيه، كما أنه كان يستعمل في أوقات الحرب كملجأ لسكان الحيين، إذ كان يمثل حصنا منيعا تحميه أسوار ضخمة من الحجارة المنحوتة.

وتشير رسائل تل العمارنة إلى تحالف وقع بين أرواد وصيدا ثم بيروت ضد **رب عدي** ملك جبيل التي كانت في تلك الفترة موالية لمصر. انضمت أرواد إلى الحيثيين أثناء معركة قادش 1274 ق م. وفي عهد تجلات بلاسر دفعت أرواد الجزية إلى الأشوريين وكذلك في عهد أشور ناصربال 884-859 ق م،

حيث كانت تقدم له الثياب والعاج والأخشاب، واستمرت في دفع الجزية للأشوريين حتى العهد الفارسي لتشهد في تلك الفترة أرواد توسعا في نطاق نفوذها الذي صار يمتد بين اللاذقية شمالا حتى النهر الكبير جنوبا.

شاركت السفن الأرودية ضمن الأسطول الفارسي خلال الحرب الفارسية الإغريقية التي كانت أبرز معاركها سلامين سنة 480 ق م، والتي انتهت بهزيمة الأسطول الفارسي.

2- مدينة جبيل:

تعتبر من أقدم المدن التي عمرت في العالم القديم، تبعد عن بيروت مسافة 45 كم وتقع عند مصب نهر أدونيس (نهر إبراهيم حاليا)، عرفت بمينائها الهام الذي كانت تصدر منه الاخشاب (أشجار الأرز)إلى العديد من دول العالم القديم وخاصة مصر الفرعونية وهو ما أشارت إليه أسطورة أزوريس.

وتشير أبحاث العالمين الأثريين بيار مونتيه (Pierre Montet)، وموريس دونان (Maurice Dunand) إلى العثور عن معبد فيه قرابين تتألف من حلي وهدايا مصرية متنوعة وثمينة كتبت على بعضها أسماء أصحابها من فراعنة مصر الباكرين.

عرفت جبيل علاقات تجارية مع بلاد الإغريق منذ العهد المينوي (حضارة كريت)، لكن علاقاتها مع مصر كانت الأقوى والأكثر ازدهارا منذ الألف الثاني ق م، أي خلال عهد الأسرة المصرية الثانية عشر، إلى درجة أن أمراء جبيل في تلك الفترة كانوا تابعين لمصر ويلقبون بالأمراء النبلاء. إضافة إلى ذلك فقد انحازت جبيل إلى مصر خلال فترة الصراع الحيثي المصري على خلاف المدن الفينيقية الأخرى التي ناصرت الحيثيين، وهو ما أشارت إليه رسائل تل العمارنة،

وقد ظلت علاقات جبيل مع مصر قوية إلى غاية غزوات شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت الساحل السوري بأكمله.

عرف أهل جبيل الكتابة الأبجدية منذ زمن بعيد، ولعل ذلك يعتبر من أهم الاكتشافات الأثرية التي تمت على مستوى هذه المدينة.

3- مدينة صيدا:

تأسست منذ العصور الباكرة لمجيئ الفينيقيين واستقرارهم بالساحل السوري، ويعود ذلك تحديدا إلى الألف الثالثة ق م، ويقول في هذا الشأن المؤرخ الروماني جوستينوس (Justin) :" حالما استقر الفينيقيون في أقرب شاطئ بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا بسبب كثرة السمك، لأن السمك عند الفينيقيين يعتبر صيدا."

أسس الصيداويون مراكز لهم في مصر وخاصة في **منف** وذلك من خلال علاقاتهم التجارية مع المصريين، كما أخذوا عن الإغريق طريقة استرشادهم بالنجوم في رحلاتهم البحرية وكذلك استعمال المقاييس والمكاييل، وبالمقابل أخذ اليونانيون الكتابة الأبجدية عنهم.

استطاع الصيداوييون السيطرة على جزيرة **قبرص** الغنية بالنحاس، وأسسوا فيها مستوطنات واصلوا من خلالها تأثيرهم على بعض جزر اليونان وخاصة **رودس** التي وصلت سيادة سكان صيدا إليها، ثم إلى جزر بحر **إيجا** حتى الساحل اليوناني.

تزعمت صيدا المدن الفينيقية في الفترة الممتدة بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق م، فغدت من أشهر المراكز الفينيقية الهامة في الحوض الشرقي

للمتوسط، وظلت مزدهرة وذات نشاط حيوي إلى غاية مجيئ غزوات شعوب البحر الذين استقرت جماعة منهم في الناحية الجنوبية من الساحل الفينيقي في المنطقة المعروفة **بفلسطين**. وتذكر الكتابات التاريخية أن ملك عسقلان الفلسطيني كان قد هدم صيدا العام 1195 ق م مما دفع سكانها إلى الهجرة نحو الشمال والانضمام إلى مدينة صور التي توسعت فيما بعد على يد هؤلاء الصيداويين.

4- مدينة صور:

كانت مدينة صور مكونة من حيين بني أحدهما على الشاطئ عند مصب نهر القاسمية، والثاني على جزيرة تبعد على الساحل حوالي ميل واحد. وحسب المؤرخ اليوناني هيرودوت فإن تأسيس المدينة يعود إلى 2300 سنة قبل تاريخ زيارته لها، تلك الزيارة التي يرجح أنها تمت حوالي سنة 450 ق م، وبذلك فإن التاريخ المحتمل لتأسيسها يكون حوالي 2750 ق م. هذا ويذهب بعض المؤرخين الآخرين إلى أن تاريخ تأسيس مدينة صور يعود إلى سنة 1195 ق م على يد سكان مدينة صيدا بعد تدمير مدينتهم على يد ملك عسقلان. غير أن هذا الرأي الأخير لا يتطابق مع الحقائق التاريخية التي تسند إلى مواطني صور مثلا تأسيس مدينة قادس (Gades) في اسبانيا، وليكسوس (Lixus) في الغرب الأقصى، وهي مستعمرات فينيقية في الحوض الغربي للمتوسط، فلا يمكن إذن بأي حال من الأحوال لمدينة ناشئة أن يتسنى لها بناء نفسها بتلك السرعة، إذا ما سلمنا أن هذه المستعمرات قد تأسست في حوالي 1110 ق م أي بعد أقل من قرن من تأسيس المدينة نفسها.

كان لسكان مدينة صور دور حضاري بارز خاصة خلال الألف الثانية ق م، وتمثل ذلك الدور في قدرة الصوريين على ربط العلاقات الباكرة بين شرقي

وغربي المتوسط، في اكتشاف المحيط الأطلسي وكذلك في نقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي كانت تجاورهم. كما استطاعت صور التحكم في التجارة الدولية لحوالي ثلاثة قرون ابتداء من القرن التاسع وحتى القرن السادس ق م، وذلك من خلال مهارة سكانها كتجار وكبحارة وكذلك بكتمان أسماء المناطق التي يرتادونها والمسالك المؤدية إليها مثلما جاء في رحلتي حنون (Hannon) وهملكن (Hamilcon).

كانت لمدينة صور علاقات متميزة مع العبرانيين حيث ساعد ملك صور حيرام (Hiram) ملك أورشليم سليمان الحكيم في بناء معبد المدينة، وذلك من خلال تزويده بالمهندسين والفنيين والعمال، كما زوده بأخشاب الأرز المشهورة من جبال لبنان لبناء قصره، و مده أيضا ببحارة ماهرين كانوا أول من وضع له النواة الأولى لتأسيس الأسطول العبراني في البحر الأحمر. وكانت تلك المساعدات مقابل الذهب والمواد الغذائية من الحبوب والزيت التي كان الملك حيرام يتلقاها من نظيره ملك أورشليم.

خضعت صور للأشوريين الذين غزوا الساحل الفينيقي في عهد الملك أشور ناصربال رغم المقاومة الشديدة التي أبدتها، لتخضع لدفع الجزية وذلك حتى عهد شلمنصر الثالث(860-835 ق م) وظل حال المدينة بين ولاء للأشوريين وثورة عليهم إلى آخر حكمهم وسقوط امبراطوريتهم سنة 663 ق م.

خضعت صور بعد ذلك للكلدانيين ثم للفرس لكن بعد مقاومة وعناد شديدين، إلى أن وصل المقدونيون وغزوا المنطقة بأسرها، ورغم ذلك قاومت صور جيوش الإسكندر الأكبر الذي حاصرها لمدة سبعة أشهر لتستسلم في الأخير سنة 332 ق م وتدخل في مرحلة الحكم الهيلنستي.